العرب
الجمعة 2021/10/29
السنة 44 العدد 12224

ذكريات مؤلمة لا تُمحى من سجون إيران

أربعة سجناء إيرانيون يصفون لـ«العرب» أجواء مجزرة العام 1988

ضحايا قتلتهم جميعا فرقة الموت

تُضيف إيران كل عام قائمة جديدة لسجل ضحايا الإعدامات. إلا أن إعدامات السنوات الأولى حفرت لها مكانا استثنائيا في هذا السجل، لسببين على الأقل؛ الأول، هو الطبيعة العشوائية للإعدامات التي تمّ تنفيذ معظمها في غضون أيام معدودة. والثاني، هو أنها طالت أعدادا تجاوزت 30 ألف شخص. ومع ذلك فقد بقي منهم من صار بوسعه أن يكون شاهدا على بعض ما كان يحدث.

طهران – تعدّ ظروف السجون في إيران سيئة للغاية، بحكم طبيعتها، وطبيعة المطلوب منها بصفة رسمية، إلا أنها ميدان لانتهاكات جسيمة أيضا، لاسيما للسجناء الذين يعتقلون لأسباب سياسية أو لمشاركتهم في نشاطات تنظر إليها السلطات على أنها تشكل خطرا على استقرار النظام. وعدا عن أعمال التعذيب الشائعة، مثل الضرب بأسلاك الكهرباء أو التعليق في السقف لمدة طويلة، أو استخدام أدوات تحدث آلاما شديدة، فإن بعض الانتهاكات تصل إلى مدى أبعد من هذه الأعمال المألوفة.

وما هذه الأوضاع إلا نتاج الإرث الذي أسسه نظام "الولي الفقيه" منذ سنواته الأولى. وهو إرث لم يتغير. فبعد حملة الإعدامات الجماعية في العام 1988، ظل سجل الإعدامات يقدم المئات كل عام من الضحايا الذين يتم إصدار الأحكام ضدهم في ظروف لا تتوفر فيها أبسط قيم العدالة. حتى أن بعض القضاة كانوا يقولون للذين يتم إعدامهم "إذا كنتم أبرياء، وأخطأنا بالحكم عليكم، فسوف تذهبون إلى الجنة".

هنغامة حاج حسن
الجرائم بحق السجينات تعجز اللغة واللسان عن وصفها

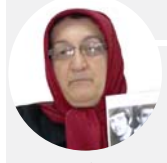
خديجة برهاني
والداي توفيا، إخوتي قتلوا وأنا الناجية الوحيدة من العائلة

حسن ظريف
رئيسي أحد أعضاء فرقة الموت التي قتلت المئات من الإيرانيين

ومع تجدد التحقيقات في مجزرة العام 1988، بعد تولي الرئيس إبراهيم رئيسي لمنصب الرئاسة في إيران، بحكم كونه واحدا من أعضاء "فرقة الموت" في طهران التي أشرفت على التنفيذ، التقت "العرب" عددا من السجناء ممن عرفوا تلك الأوضاع التي أسست لدولة الإعدامات الأكبر في العالم.

الناجية الوحيدة بين ستة إخوة

تقول خديجة برهاني: في العام 1981، كنت في الثانوية عندما اعتقلتني قوات الحرس. ودون أي دليل، سُجنت لمدة ثمانية أشهر.

وعلى الفور، قام والداي بمساعدة شخصيات وأعيان المدينة، بالضغط على السلطات هناك. وبعد 8 أشهر، تم إطلاق سراحي بعد تنازل والديّ عن سند المنزل ومليون تومان نقدا لهم.

ونتيجة للضغوط التي مارسها النظام على والديّ، أصيبا كلاهما بجلطة وتوفيا، وأنا الآن الناجية الوحيدة من هذه العائلة: أخي الأكبر سيد محمد مهدي 27 عاما، كان أستاذ فلسفة ويتحدث 5 لغات حية من لغات العالم، تم اعتقاله وتعذيبه في أغسطس 1982. وبعد أسبوع من التعذيب المرهق في سجن إيفين تم إعدامه.

أخي الثاني سيد محمد علي، كان أستاذا مساعدا في جامعة طهران، وحافظا للقرآن باللغتين العربية والإنجليزية. وفي فجر 9 سبتمبر 1981، بعد التعذيب الوحشي وحرق جسده بالسجائر، تم إطلاق النار عليه أمام فرقة الإعدام وهو في سن الـ24.

كان شقيقي الثالث سيد محمد مفيد مهندسا ميكانيكيا يبلغ من العمر 29 عاما، سقط شهيدا في "عملية الضياء الخالد" ضد قوات الحرس الثوري.

واعتقل أخي الرابع سيد أحمد، الحاصل على درجة الماجستير في الرياضيات وكان تقنيا في الإذاعة والتلفزيون مع أخي علي وأنا، وتعرضنا للتعذيب في أغسطس 1981، أثناء مداهمة قوات الحرس لمنزلنا.

وعلى الرغم من الحكم عليه بالسجن لمدة 15 عاما، تم إعدامه في مذبحة عام 1988.

واعتقل أخي الخامس سيد محمد حسين، وكان طالبا في اختصاص الرياضيات والفيزياء وهو ابن 17 سنة، في الخامس والعشرين من مارس 1981 مع أصدقائه أثناء قيامهم بتوزيع مجلة مجاهدي خلق.

حكم على حسين بالسجن المؤبد، ولكن خلال مذبحة عام 1988، تم إعدامه شنقا.

شقيقي السادس سيد محمد حسن، لم يكن يتجاوز الـ25 من عمره عندما اعتقل في الثاني والعشرين من يونيو 1981، وتعرض للتعذيب على الفور.

وبعد الإفراج عنه مباشرة وجدنا طريقا للفرار من إيران لنلتحق بمعسكر مجاهدي خلق في العراق، واستشهد في اشتباك مع قوات الحرس.

والدي سيد أبوالقاسم برهاني كان رجل دين شهير في مدينة قزوين ومعارضا للشاه والخميني. أمره الخميني بخلع لباسه الديني، لكن والدي لم يخلعه، وقال: هذا هو تقليد رسول الله. يريد الخميني، باستخدام هذا الثوب، التستّر على جرائمه وإضفاء الشرعية على حكمه.

تقول هنغامة حاج حسن لـ«العرب»: إن من بين الوحوش الذين وقعت في قبضتهم، رجل يدعى حاج داود رحماني، توفي مؤخرا وأثار موته ردود فعل واسعة على مواقع التواصل الاجتماعي الإيرانية. وجاء في إعلان وفاته أنه "أظهر الأخلاق الحميدة والطيبة".

في نوفمبر 1981، تم اعتقالي في الشارع لدعمي مجاهدي خلق.

منذ بداية اعتقالي في الشارع، عصبوا عينيّ وألقوني في سيارة وأخذوني إلى العنبر 209 المخيف والمروّع في سجن إيفين، حيث ربطني المحقق بسرير التعذيب.

وقاموا بتقييد يدي بالسلاسل إلى الجزء العلوي من السرير وربط ساقي بإحكام شديد إلى الحافة السفلية من السرير، إلى درجة أنني لم أستطع تحريك ساقي مهما حاولت. وجلس حارس آخر على ظهري وألقى بطانية على وجهي ... وانهالوا عليّ بضربات متتالية، لا أعرف كم عددها! لكني كنت أصرخ من الألم.

استمرت عمليات الضرب والاستجواب المتتالية ثلاثة أشهر، حيث غطى المحققون وجوههم ونادوا بعضهم البعض بأسماء مستعارة، مثل "صالح" و"تقي". والشخص الوحيد الذي تمكّنت من تحديد هويته هو إلياس نادران، الذي كان عضوا في مجلس شورى الملالي لسنوات عديدة.

بعد 11 شهرا، تم نقلي إلى سجن قزل حصار، حيث كان الحاج داود رحماني، الذي مات مؤخرا، رئيسا للسجن.

وحظي رحماني بثقة كاملة من قبل جزار سجن إيفين لاجوردي، بسبب خدمته في أعمال التعذيب الشديد لأعضاء مجاهدي خلق والمعارضين الآخرين في السجن.

وفي السجن كانت أرواح وممتلكات وشرف السجناء مباحة ومشروعة للسجانين بفتوى من الخميني، مثل اغتصاب الأخوات القاصرات قبل الإعدام ورذائل أخرى.

صفعة أم على وجه لاجوردي

يقول سيد حسين سيد أحمدي من طهران، الذي قُتل أفراد عائلته على يد عملاء نظام الملالي لـ«العرب»: في عام 1980، لم يعد أخي محسن إلى المنزل ذات يوم، وكان يبلغ من العمر 30 عاما، واعتقل مع سبعة أصدقاء آخرين من أجل بيع مجلة مجاهدي خلق في طهران وحكم عليه بالسجن لمدة عام. لكنه لم يُفرج عنه قط، وبعد ثماني سنوات، كان من أوائل السجناء الذين أُعدموا في مذبحة السجناء السياسيين في سجن جوهردشت.

أخي الآخر محمد سيد أحمدي 25 سنة، اعتقل في فبراير 1986 وحكم عليه بالسجن 15 سنة، كان من أوائل المجموعات التي أعدمت في إيفين في 1988.

وذات مرة، عندما ذهبت أنا ووالدتي لزيارة أخي محسن في سجن إيفين، أخبر محسن والدتي أنه تعرض للتعذيب.

احتجّت أمي بشدة على لاجوردي، الذي كان رئيس سجن إيفين والمعروف بجلاد إيفين، وقالت له: لماذا تعذبون أبناءنا.. نفى لاجوردي وقام بإهانة السجناء وقال: إنهم يكذبون.

غضبت والدتي من جواب لاجوردي وصفعته على وجهه، فأخذ الحراس والدتي إلى السجن لمدة أسبوع، وعذبوها وكسروا ذراعها اليمنى.

في نوفمبر 1988، أُبلغت والدتي بالذهاب إلى إيفين وأعطيت حقيبة بمتعلقات أخويّ محسن ومحمد، وكانت تحتوي على عدة قطع من الملابس التي، بالطبع، لا تخص إخوتي.

كانت عمليات الإعدام عديدة إلى درجة أنه لم يكن من الممكن فصل متعلقات وأغراض السجناء وتمييزها عن بعضها البعض.

كما تم إعدام أخي الأكبر علي سيد أحمدي في 1 سبتمبر 2013 في مذبحة أشرف مع 51 آخرين من أعضاء مجاهدي خلق.

170 نوعا من التعذيب

يقول حسن ظريف وهو من السجناء السابقين لـ«العرب»: اعتقلت في نهاية عام 1981 لدعمي مجاهدي خلق. وسُجنت لمدة 12 عاما حتى عام 1992، وتعرضت لكافة أنواع التعذيب.

وأثناء الاستجواب، قُيدت في سرير وضُربت بأسلاك كهربائية على أسفل قدمي وخصري.

بعد هذه المرحلة، حُكم عليّ بالسجن 15 عاما في محاكمة مدتها ثلاث دقائق دون محام.

كان الجو في قاعة المحكمة من النوع الذي لم أكن أدرك حتى أنها كانت قاعة محكمة. وبعد صدور حكم جديد تبدأ جميع أنواع الضغوط النفسية وعمليات التعذيب. لأن هدف حارس السجن هو تحطيم روح السجين.

بعد تلقي الحكم الصادر بحقي، تم نقلي إلى الحبس الانفرادي في سجن قزل حصار، حيث تم اعتقال 25 شخصا قسريا.

كنا تحت تعذيب مستمر لمدة شهرين.

وخلال سنوات السجن، انتشر نوع جديد من التعذيب كالحبس في الأقفاص والتوابيت والقبور. والحرمان من النوم والضغط على أرجلنا مع بقاء الخصر مرتفعا إلى درجة أن الكثير من المعتقلين فقدوا أعصابهم بعد ثلاثة أيام.

من بين 175 معتقلا لدينا، تم إعدام 150 في مجزرة العام 1988. ومن بين 12 جناحا للرجال في إيفين، نجت ثلاث غرف فقط.

وكان أعضاء "فرقة الموت" في طهران هم إبراهيم رئيسي، وحسين علي نيري، ومصطفى بور محمدي، وإسماعيل شوشتري، ومرتضوي مدير السجن، وزماني مدير مخابرات سجن إيفين.

ولقد أعددنا قائمة بـ170 نوعا من التعذيب في السجون وأحصينا أسماء 877 ضحية من ضحايا المجازر في سجني إيفين وجوهردشت لنقدمها إلى أحد المحققين. لكنهم لم يسمحوا له بلقائنا.

داعش ينظم صفوفه في الساحل وغرب أفريقيا بعد مقتل زعمائه

باماكو – خسر تنظيم داعش الإرهابي زعيمين له في فترة وجيزة حيث قتل أبومصعب البرناوي زعيم داعش غرب أفريقيا منتصف أكتوبر بعد شهر على مقتل عدنان أبووليد الصحراوي زعيم داعش الصحراء الكبرى. وإن كان التنظيم أقرّ بمقتل أبووليد الصحراوي، إلا أنه إلى حد الآن لم يؤكد أو ينفي مقتل البرناوي على يد الجيش النيجيري.

وفي وقت سابق من الأسبوع الجاري، أعلن مستشار الأمن القومي النيجيري، باباغانا مونغونو، مقتل "مالام باكو"، الذي خلف البرناوي مؤخرا كزعيم لتنظيم داعش في ولاية غرب أفريقيا.

وإن تأكد مقتل البرناوي وباكو إلى جانب أبي الوليد الصحراوي، فإن داعش يكون قد تلقى ضربة موجعة في أهم معقلين جديدين له في أفريقيا، بعد انهيار معاقله في سوريا والعراق وليبيا. وتطرح تساؤلات حول مدى تأثير ذلك على تماسك التنظيم واستمرار نشاطه في أهم معقلين نشطين لديه؟

وقد يكون من السابق لأوانه الحديث عن بداية تفكك داعش في منطقتي الساحل وشمال شرق نيجيريا، رغم مقتل زعيمين مؤسسين بحجم الصحراوي، مؤسس جماعة التوحيد والجهاد في غرب أفريقيا، والذي بايع داعش عقب اتحاده مع جماعة مختار بلمختار (الموقعون بالدماء) رغم معارضة الأخير مما أدى إلى انقسامهم.

وخاض داعش الصحراء الكبرى مواجهات محدودة، مع الجماعات الموالية للقاعدة في مالي والنيجر وبوركينا فاسو، لكنه فشل في القضاء عليها أو الاستيلاء على معاقلها.

وبينما تمركزت جماعة نصرة الإسلام والمسلمين، التي تضم 4 تنظيمات مسلحة مقربة من القاعدة، على شمال مالي، تمركز داعش الصحراء الكبرى في منطقة الحدود بين مالي والنيجر وبوركينا فاسو.

وهذه المنطقة التي ركزت عليها عملية برخان الفرنسية، وجيوش الساحل الخمسة (تشاد، النيجر، مالي، بوركينا فاسو، موريتانيا)، بالإضافة إلى الدعم الاستخباراتي واللوجستي للقوات الأميركية في المنطقة.

وأدى مقتل شيكاو إلى تسليم الآلاف من العناصر التابعة لبوكو حرام أو المتعاطفة معها إلى الجيش النيجيري، وليس مستبعدا أن يكون الأخير استفاد من المعلومات التي تحصل عليها من قيادات بوكو حرام، التي سلمت نفسها، للإطاحة بالبرناوي وخليفته مالام باكو.

لكن تجارب العديد من الجماعات الإرهابية والمتشددة تكشف أن مقتل زعاماتها يضعفها لكنه لا يقضي عليها، حيث تقوم بتجديد قياداتها بشكل روتيني نظرا لطبيعة نشاطها، واحتمال مقتل زعمائها القائم في أيّ وقت، بالنظر إلى مطاردتهم من العديد من الجيوش المحلية والقوى الكبرى.

ويصبح مقتل زعيم أيّ جماعة مسلحة مدمرا لها عندما يحدث صراع على خلافته، ما يؤدي إلى انقسام التنظيم والاقتتال بين عناصره ويستنزفه داخليا، حتى يتلاشى تحت ضربات الجيوش مثلما حدث للجماعات الإسلامية المسلحة في الجزائر (جيا) ما بين 1993 – 1997.

كذلك الأمر بالنسبة إلى مقتل عبدالمالك دروكدال زعيم القاعدة في المغرب الإسلامي، ومختار بلمختار زعيم كتيبة المرابطين، وكلاهما ضمن تحالف جماعة نصرة الإسلام والمسلمين، التي تضم أيضا جماعة أنصار الدين، وجماعة تحرير ماسينا، إذ لم يؤدِ مقتلهما إلى توقف نشاط تنظيم القاعدة في الساحل، ولكنه قد يفتح الباب للحوار بين الحكومة المالية والتنظيمين الأخيرين الأقل تطرفا.

وتعتبر العديد من مراكز الدراسات المتخصصة في متابعة نشاط الجماعات الإرهابية أن داعش في الصحراء الكبرى وغرب أفريقيا دخل مرحلة إعادة تنظيم نشاطه. فبعد أن سيطر على معظم أجزاء ولاية بورنو شمال شرقي نيجيريا بما فيها مناطق في حوض بحيرة تشاد، واكتمال القوس مع معاقله في الصحراء الكبرى، يسعى لإعادة توحيد هذه المنطقة الشاسعة وتقسيمها إلى ولايات.

وفي هذا الصدد، تحدثت دراسة لمعهد الدراسات الأمنية في جنوب أفريقيا عن خطط لإعادة هيكلة داعش في المنطقة، بإنشاء 4 ولايات في كل من بحيرة تشاد، وتمبكتو (شمال مالي)، وتومبوما (غينيا). وغابة سامبيسا، تحت قيادة مركزية في بورنو.

واستفاد داعش الصحراء الكبرى وغرب أفريقيا، من التحاق آلاف العناصر من التنظيم في كل من العراق وسوريا وليبيا، ما عزز من قوته في المنطقة وساعده في هزيمة بوكو حرام في شمال شرق نيجيريا.

وذكر مركز غرب أفريقيا لمكافحة التطرف في تقرير له عام 2018 أن نحو 6 آلاف عنصر يتحدرون من بلدان غرب أفريقيا، الذين قاتلوا مع داعش، عادوا إلى ديارهم في العراق وسوريا بعد انهيار الخلافة التي أعلنها التنظيم.

> داعش يخطط لإنشاء أربع ولايات في كل من بحيرة تشاد وتمبكتو وتومبوما وغابة سامبيسا، تحت قيادة مركزية في بورنو

ولا يستبعد أن يكون عدد من هؤلاء العائدين انضموا مجددا إلى داعش في الصحراء الكبرى أو غرب أفريقيا، مما يضاعف مخاطر انتشار التنظيم في المنطقة نظرا لخبرتهم القتالية والتنظيمية.

وما يعزز ذلك ما نشره معهد الدراسات الأمنية في أفريقيا (مستقل ومقره في بريتوريا)، في أغسطس الماضي، أن 130 مقاتلا سابقًا أو أكثر التحقوا بداعش غرب أفريقيا، بعد عودتهم من ليبيا على ثلاث دفعات بين أبريل ويونيو الماضيين.

وتوقع المعهد وجود 70 مقاتلا آخرين على الأقل في ليبيا يستعدون للالتحاق بداعش غرب أفريقيا، دون تحديد متى سيتم ذلك.

وتعكس هذه التقارير الأمنية أن المنطقة أصبحت تستقطب عناصر داعش الفارين من العراق وسوريا وليبيا، ما يعني تضخم قوة التنظيم الإرهابي، ما يدفعه إلى إعادة هيكلة نفسه، وقد يؤدي ذلك إلى صراعات بين قياداته المحلية والقادمة من الخارج.

وليس مستبعدا وقوع تصفيات داخلية من أجل سيطرة القيادات القادمة من الخارج على داعش في الصحراء الكبرى وغرب أفريقيا، وقد نشهد إعادة تمدد التنظيم في دول أخرى مطلة على خليج غينيا.

وقد يصطدم داعش مجددا بالتنظيمات الموالية للقاعدة في شمال مالي لابتلاعها، مثلما فعل مع بوكو حرام، عبر القضاء على قياداتها، وضم عناصرها تحت شعار الوحدة بين التنظيمات المسلحة.

ويتحتّم على دول المنطقة إعادة تنظيم نفسها وتحالفاتها وعدم انتظار اكتمال إعادة هيكلة التنظيم لنفسه، خاصة وأن دول أخرى في غرب أفريقيا قد يطالها التهديد.

داعش مستعد للتوجه نحو معاقل جديدة